(٩)

رؤية علمية
في كتب القراءة بالمرحلة الابتدائية
أو
لماذا أطفالنا لا يقرءون؟

أولاً : مقدمة :

لا نبالغ إذا قلنا إن مهمة المدرسة الابتدائية ـ بصفة عامة ـ تعليم القراءة والكتابة ، وبتعبير آخر تنمية أدوات المعرفة التي يستخدمها التلميذ بعد ذلك في تحصيل علومه ، لقد ذكر هذا كثير من الباحثين في مجال تعليم اللغة وفنونها وعلومها .

وعملية القراءة ـ بصفة خاصة ـ ليست أمرًا يسيرًا ، كذلك فإن تعليم الأطفال هذا الفن ليس أمرًا سهلاً أيضًا ؛ لذلك خرجت كثير من البحوث ونشرت حول هذين الأمرين المهمين .

١- طبيعة عملية القراءة .

٢- واستراتيجيات تعليم القراءة .

والقراءة ذات أبعاد ثلاثة مهمة ينبغي العمل على تنميتها ، هذه الأبعاد الثلاثة هي :

- البعد الصوتي Phonological
- البعد الكتابي Orthographical
- الفهم Comprehension

وثلاثتها تتكامل لتكون ما يسمى بالقراءة .

وإذا نظرنا إلى تعليم القراءة ومستوى مهاراتها لدى تلاميذنا في مصر فإننا نجد انخفاضًا ملحوظًا في اكتساب المهارات القرائية ، وفي السرعة في الأداء ، ولم يقتصر الأمر على مرحلة تعليمية واحدة بل إن هذه الظاهرة واضحة في كل المستويات التعليمية .

وأخطر ما في الأمر أن المستوى المتدني في مهارات القراءة في المراحل التعليمية يرتبط ارتباطًا مباشرًا بالتدني الواضح جدًّا في المستويات القرائية في المرحلة الابتدائية ، ومن ثمَّ ينبغي الاهتمام أولاً بتعليم القراءة في المرحلة الابتدائية لأنها الأساس لما سيلي من مراحل .

ثانياً : الأبعاد العلمية للنظر في كتب القراءة بالمرحلة الابتدائية :

١- المفردات من حيث عددها وتكرارها وطولها وحسيتها وتجريدها .

٢- الجمل من حيث بساطتها وتعقيدها ومن حيث طولها .

٣- تعرف الأصوات ، والكلمات والجمل وفهمها ونطقها نطقًا صحيحًا .

٤- مستوى الاختبارات من حيث قدرتها على تنمية المستويات المختلفة للقدرة العقلية .

٥- المحتوى المعرفية للتراكيب اللغوية المقدمة .

٦- انعكاس عالم الطفل فيما يقدم إليه من مواد تعليمية .

٧- نوع الأسلوب المستخدم في تقديم مواد القراءة ، هل هو أسلوب سرد ، أو حماية أو حوار؟

وبتطبيق المعايير السابقة على كتب القراءة في الصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية في مصر نجد أن هذه الكتب لابد أن تُغَيَّر وأن تُشكَّل لجنة علمية لبناء هذه الكتب من جديد في إطار المعايير العلمية المشار إليها ، وإلا سنظل نحرث في البحر ، وسيظل أبناؤنا خارج إطار التقدم والحضارة .

وقد يكون من المهم في البداية أن نشير إلى أن الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة قد أجرت دراسة على كتب القراءة في الصفوف الخمسة الأولى من المرحلة الابتدائية في مصر ، فيما يتعلق بالمحتوى المعرفي لكتب القراءة ، وانعكاس ميول الأطفال فيما يقدم إليهم ونوع الأسلوب المستخدم في تقديم المادة العلمية ، وقد كان الملفت للنظر أن كتب القراءة في المرحلة الابتدائية في مصر لا تقدم معارف علمية أو اجتماعية أو بيئية بقدر يسمح لنا بأن نقول إنها تنمي أفكار التلاميذ أو تحفزهم للقراءة في المعارف المختلفة فالكتب ـ بصفة عامة ـ موضوعات تعبير سطحية لا تقدم فكرًا ولا علمًا ، ولا فنًا ، إنما هي عبارة عن تدريبات لغوية ميكانيكية كما تبين من هذه الدراسة أن الموضوعات لا تمثل ـ إلى حد كبير ـ عالم الطفل ولا حياته ولا ميوله مما انعكس سلبًا على اتجاه التلاميذ نحو اللغة العربية ، والأخطر من هذا أن أسلوب العرض السائد هو أسلوب السرد ، وهذا أسلوب لا يجذب انتباه التلميذ ، ولا يحرك خياله ، ولا ينمي دافعيته للتعلم ومن المعروف أن تلميذ هذه المرحلة في حاجة لأن يتعلم بالقصة والحكاية والحوار ، فهو يميل بطبعه وبالمرحلة التي يمر بها إلى الدراما ، والأسلوب المنغم المسجوع .

وسنقصر حديثنا فيما يلي على كتاب الصفين الأول والثاني باعتبار أنهما يمثلان مرحلة البدء في تعلم القراءة ، وهي مرحلة فاصلة في أن يتعلم أطفالنا القراءة أو لا يتعلمون .

ولعل أخطر العوامل تأثيرًا على تعلم القراءة ـ بصفة خاصة ـ في الصفين الأول والثاني من المرحلة الابتدائية هو ضبط المفردات في كتب القراءة ؛ ونعني بهذا عدد المفردات الجديدة التي تقدم في كل درس وعدد المفردات في الكتاب كله ، وتكرار كل مفردة لا ينبغي أن يقل عن ٣٠ مرة في الكتاب .

والمفروض أن يمهد كتاب الصف الأول لكتاب الصف الثاني ، بحيث يكون جزء من المفردات التي قُدِّمت في كتاب الصف الأول هو الأساس الذي يُبنَى عليه كتاب الصف الثاني ـ وهذا ما يسمى بالاستمرار في بناء المناهج .

وبنظرة سريعة إلى كتابي القراءة في الصفين الأول والثاني من المرحلة الابتدائية في مصر نجد ما يدعو إلى الدهشة والحيرة ويدعو إلى السؤال عن الأسس العلمية التي بُنيَت عليها هذه المواد التعليمية .

في كتاب الصف الأول الابتدائي ما لا يقل عن ٤٥٪ من الكلمات لم تأت إلا مرة واحدة !!

كيف يتعلم أبناؤنا القراءة من هذين الكتابين ؟

إن أساس تعلم القراءة والانطلاق فيها هو ما يسمى بالتعرف Decoding أي تمييز الحروف وتكوين كلمات منها ونطقها ، واستخدام هذه الحروف في تعرف كلمات جديدة لم يسبق أن رآها ، وفي بناء جمل من الكلمات التي تعرفها .

إن التعرف كما يذكر أحد أساتذة القراءة هو الوقود في السيارة ، هل تسير سيارة بدون وقود؟ هل تتم القراءة بدون تعرف؟ كيف يتعرف تلميذ في سن السادسة على ٤٠٪ أو أكثر من الكلمات التي في الكتاب ، ولم يقابلها غير مرة واحدة ، ولم يعرف كيف يحل رموزها (حروفها)؟

إن تلميذنا إذا لم يسيطر على فن القراءة في الصفين الأولين سوف يظل يعاني من التعلم ومن الفهم ومن القدرة على التحصيل . . إن القراءة وإتقانها مسئولية المدرسة الابتدائية ، وهي الفصل الأول في كتاب التعليم أو التربية .

والمفترض ألا تزيد صعوبة المفردات في أي كتاب قراءة عن ١٥٪ ، لكنا نجد أن نسبة الصعوبة في كتابي الصف الأول والثاني من المرحلة الابتدائية يزيد متوسط صعوبتها عن ٥٠٪ من المفردات المقدمة في الكتابين ، إذ أن المفردات التي لم تقدم إلا مرة واحدة تمثل صعوبة بالغة أمام الطفل الذي لما يتقن بعد مهارات التعرف على الحروف والكلمات .

ولننظر فيما يلي بعض ما قاله الخبراء في ضبط المفردات في كتب القراءة . يظهر من الدراسات الكثيرة المتعلقة بمستوى القراءة أن المفردات قد تكون

العامل الأكثر أهمية في تحديد صعوبة مواد القراءة أو سهولتها ، فالنسبة القليلة للكلمات الجديدة بالمقارنة مع الكلمات الجارية تجعل من السهل على التلاميذ استخراج المعاني مما يقرءون ؛ لأن المفردات هي العنصر الأساسي في فهم الجملة ، وفي السرعة في القراءة ، ولقد ذكر بعض الباحثين أن حمل المفردات الثقيل ، والمفردات الفنية غير المألوفة للأطفال تؤدي إلى صعوبة في نص ما إلى عادات سيئة في القراءة ، وإلى بطء في فهم المعنى بل تعطيله .

والنسبة الكبرى من الأطفال الذين يتقدمون ببطء في القراءة إن هم إلا ضحية المفردات الكثير الغريبة ، فالطفل حين يواجه بكلمات جديدة كثيرة يكرر ـ في الغالب ـ قراءة الكلمات ويعود إليها المرة بعد المرة ، لكي يسبر غورها ، ويبحث عن معانيها ، وقد يتوقف تماماً عن القراءة ، لكي يبحث عن المعنى في المعاجم ، وقد يقفز ـ ببساطة ـ تاركًا ما لا يعرفه ، مكتفيًا بالقليل الذي فهمه ، والمسلم به أنه حينما يزداد حمل المفردات فجأة لا يمكن أن يقرأ الطفل ـ بطلاقة ـ مستخدمًا إشارات السياق أو التحليل الصوتي ، وما لم تسد الكلمات الشائعة في الجمل ، فالمتعلم غير الناضج سوف يجد نفسه في بحر من الكلمات التي لم يسيطر عليها ، وسيجد نفسه كذلك غير قادر على فهم معاني الجمل .

والتدرج في تقديم المفردات الجديدة في كتب القراءة عامل من العوامل التي تساعد على تقدم الأطفال في تعلم القراءة ، ويحتاج المبتدءون في المدرسة إلى تدريب في كل العادات التي تؤدي إلى نضج مهارات القراءة ، وقراءة الجمل التامة ، وإلى تدريب في عادات حركة العين الصحيحة ، وفي استخراج المعاني المناسبة للكلمة من السياق وفي تحصيل المفردات الجديدة ، وهذا تدريب صعب إن لم يكن مستحيلاً دون ضبط المفردات في مواد القراءة ، وحينما تتكرر الكلمات والعبارات ـ بدرجة كافية ـ يبدأ الأطفال في تكوين عادة توقع ما سيأتي بعد ، وهي عادة تجعل القراءة بالنسبة لهم مريحة وأكثر سرعة ،

وهنا يمكن أن تُفهَم الجمل كوحدات فكرية ، فالطفل الذي يعرف معظم الكلمات الشائعة في القراءة يمكن أن يستنتج المعاني بسهولة أكثر من الكلمات غير الشائعة .

وكل هذه الأمور مفيدة وذات أهمية ، وبخاصة للمتعلمين البطاء الذين يتعاملون مع الرموز بصعوبة ؛ ويعني هذا أن ضبط المفردات يؤدي إلى القراءة الجيدة عند الأطفال ذوي المستويات الدنيا من الذكاء ، إذ أن الأطفال البطاء يتمتعون بقراءة النص المبسط ؛ لأنهم يجدون أنفسهم قادرين على أن يقرءوا ويتعلموا .

وفي هذا يرى « تفكر وكونستانس » أن من المحتمل أن يكون ضبط المفردات أكثر أهمية في الصفوف الأولى ، وبخاصة في الصفين الأول والثاني ، وأقل أهمية في الصفوف التالية ، بداية في الصف الثالث والرابع .

ويؤكد هذا ما قاله « يوكام » من أنه ينبغي أن نهتم بضبط المفردات في الصفوف الأول أما في الصفوف المتوسطة والعليا ، فينبغي أن يكون ضبط المفردات فيها أقل أو أكثر اتساعًا من حيث المفردات الجديدة التي تقدم لهم .

* * *